

جوانب من صورة الآخر (الغرب) في التاريخ الاسلامي

د. نعمان محمود جبران
جامعة اليرموك

هذه دراسة في اطار رسم جوانب من صورة الآخر (الغرب) في التاريخ الاسلامي من خلال محاولة لرصد بعض معالم هذه الصورة في الكتابات الاسلامية (الجغرافية ، التاريخية ، الرحلات) . وقد ركزت على آراء الجغرافيين والمؤرخين والرحالة المشاركة في فترة قوة الدولة الاسلامية وفترة ضعفها . وقارنت الدراسة بين ما ورد من صورة للآخر (الغرب) في الفترة السابقة للحروب الصليبية وخلالها . وخلصت الدراسة الى بيان اهم المراحل التي تم من خلالها رسم صورة الآخر (الغرب) ومدى انطباقها على الصورة الحالية للآخر في ذهن الانسان العربي .

تمهيد :

ان الموقع الجغرافي للامة العربية واسلوب حياتها قد اهلاها منذ القدم للتعامل مع القارات في العالم القديم ، فكان للعرب صلاتهم باوروبا وافريقيا وشرق اسيا عن طريق التجارة البرية والبحرية ، وكان لهذا التبادل التجاري اثره في تكوين طبيعة العلاقات السياسية تعاوناً وتحالفاً ، او صراعاً وتنافساً . وعلى هذا ، فان معرفة الآخر وتبادل الخبرات والخيرات معه ظاهرة نابعة من ضرورات جغرافية واجتماعية حياتية .

واتسع هذا المجال بعد ظهور الاسلام وتكوينه دولته واتساعها الجغرافي الذي زاد من مدى الاتصال بالخارج من الاندلس غرباً الى حدود الصين شرقاً ومن جبال طوروس شمالاً الى بحر العرب واواسط افريقيا جنوباً . وجاء هذا التوسع مقروناً بالرغبة في اكتشاف الآخر او تكوين صورة له ، سواء كان هذا الآخر ضمن اراضي الدولة الاسلامية (من مسلمين جدد غير عرب او من اتباع ديانات اخرى) ، او خارجها (ومن ضمنهم الغرب) ، وتعمقت المعرفة بالآخرين عندما نشطت حركة الترجمة

دراسات تاريخية ، العددان ٤٩ / ٥٠ ، آذار - حزيران ١٩٩٤

في الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ، فبدأت تتضح بشكل تدريجي معالم صورة العالم بالنسبة للمسلمين والتعرف على الآخر (الغرب) من خلال ترجمات من اليونانية والسريانية ، إضافة للمعلومات التي جمعها التجار والرحالة والأسرى ، وبذلك يمكن القول أن العرب المسلمين قد تعارفوا مع الآخر (الغرب) في فترات زمنية متباعدة بحكم التماس الجغرافي حين كانت أوروبا (الغرب) واحدة من ثلاث قوى حول البحر المتوسط (إضافة الى المسلمين والبيزنطيين) . وقد مرت العلاقات بين هذه القوى بأشكال مختلفة ، فأبناء الحضارة الإسلامية كانوا في أغلب المراحل أكثر عطاء وإسهاما في الحضارة الإنسانية بشقيها المادي والروحي ، في حين كان الآخر تحت سيطرة قبائل بربرية لم يساهم في المسيرة الإنسانية بالقدر نفسه ، لكن هذه الصورة لم تكن ثابتة على أرض الواقع ، بل مرت بحالات من المد والجزر ، فالقوة الإسلامية والتي بدت لقرون متماسكة فاعلة ، بدأ يعتريها نوع من الضعف لأسباب داخلية وخارجية ، وكذلك حال الغرب الذي بدأ يتلمس طريقا تقوده الى بداية التفاعل والمنافسة . يظهر ذلك من خلال شكوى بعض المؤرخين المسلمين في القرن الرابع الهجري من مضايقة الروم^(١) والغرب للمصالح الإسلامية في البحر المتوسط^(٢) . ويفهم من ذلك أن المقصود بالروم والغرب يعني أوروبا بمفهومها العام الواسع الذي كانت تبرز فيه ثلاث مناطق رئيسية هي : منطقة رومية ، منطقة السلاف (الصقالبة)، ومنطقة الفرنجة أو ما يشمل الامبراطورية البيزنطية وأوروبا الشرقية^(٣) ، وإذا كانت بيزنطة هي الأكثر تماسا مع الشرق الإسلامي فإن بلاد الفرنجة كانت الأقل تماسا وعلى ذلك فإن التصور الإسلامي للأولى كان أكثر وضوحا منه لصورة للفرنجة مكانا وسكانا والتي كانت المعلومات عنها تصل الى العالم الإسلامي ، وعلى حسب تعبير أندره ميكل André Miquel ، أرباً أرباً^(٤) ، وهذا عكس ما كان لدى المسلمين من معلومات وتصور واضح عن بلاد الهند والصين ، أو إفريقيا السوداء ، أو بلدان آسيا الوسطى التركية .

وحين بدأت الدولة الإسلامية بالضعف والتجزئة السياسية والمذهبية سنحت الفرصة للغرب، قبل أن يتوحد سياسيا أو دينيا، لمد بعض النفوذ على مناطق من حوض البحر الأبيض وأجزاء من الدولة الإسلامية ، بالغزو العسكري لأسباب وأهداف متعددة (ليس الدين أقواها) فيما عرف بموجات الغزوات الصليبية . وهذا ما فرض تعارفا غنيا بين أبناء الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي ، وعلاقات ما بين محتل صليبي ومقاوم إسلامي لهذا الاحتلال . وكان يفترض أن يكون لهذه الحروب التي استمرت قرنين من الزمان أثر في تعديل معلومات كل طرف عن الطرف الآخر ، لكن الطرف المسلم رغم ضعفه العسكري في المراحل الأولى للغزو الصليبي بقي يشعر بتفوقه حضاريا على هذا الغازي ، وعلى الرغم مما ترتب على هذه العلاقة العنيفة

الا ان القطيعة بين الطرفين لم تحصل الا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، حين تقدمت اوربا بسيطرتها على الطرق التجارية العالمية مما جعل منطقة الشرق الاسلامي خارج اهتمامها ، ليعود هذا الاهتمام بشكل عنيف مرة اخرى مع موجات الاستعمار الحديث في القرن التاسع عشر . ومن هنا فان العلاقة بين المسلمين والآخر (الغرب) لم تكن علاقة نمطية تسير في اطار واحد ، بل تمثلت بعلاقات تعاون وتنافس وسلم وحرب ، مما كان له انعكاس على تطور كل طرف للآخر بحسب قوته وضعفه، ولكنها من الطرف الاسلامي كانت تمثل تصور المسلم ابن الحضارة العريقة للآخر (الغرب) الاقل تحضرًا ، او نظرة ابن دار الاسلام او السلام الى دار الحرب وسكانها دون ان يعني ذلك مفهوما عنصريا من حيث التفوق العرقي (٥) ، وهذا عكس التصور الاوروبي للاسلام ومعتنقيه او للحضارات الاخرى .

ومما هو جدير بالذكر ان النظرة الاسلامية للآخر او تصويرها له لم تكن واحدة ، فنجد تميزا في الاهتمام ما بين البيزنطيين والصقالبة والفرنجة والجلالقة ، حيث احتلت رومية والقسطنطينية المكان الابرز والاكثر أهمية في الذهنية الاسلامية ، على عكس مركز الغرب في هذه الذهنية ، على ان هذا الامر قد انعكس في مرحلة لاحقة من التاريخ (٦) ، بتغير حال كل طرف . وحين نبحث عن صورة الآخر (الغرب) في الذهنية الاسلامية خلال فترات متباعدة ومن مصادر متعددة - سنقصرها تمثيلا على بعض المؤلفات الجغرافية وكتب الرحلات والسفارات وبعض كتب التاريخ الاسلامي من فترة الحروب الصليبية - لابد من التأكيد على ان جزءا من هذا التصور كان فيه تأثير اوروبي جاء عن طريق الترجمات الاسلامية للعلوم اليونانية ومن بينها الجغرافيا، او بتأثير تصرفات الآخر (الغرب) تجاه الدولة الاسلامية .

آ - صورة الآخر (الغرب) لدى الجغرافيين المسلمين :

ان صورة الغرب لدى الجغرافيين المسلمين كانت محكومة بعدة عوامل ، منها الاثر اليوناني في الجغرافيا الاسلامية ، فقد اخذ المسلمون عن اليونان تقسيم العالم الى اقاليم ، وكان الاقليم الذي يقع فيه العالم الاسلامي اكثر تطورا واعتدالا . كما كان للتوسع الجغرافي في حدود الدولة الاسلامية اثر في ذلك . فمند القرن الثالث الهجري تأثر علم الجغرافيا الاسلامي بجغرافية بطليموس ، فاخذ عنه المسلمون تقسيم العالم الى سبعة اقاليم وركزوا في كتاباتهم على الاقليم الرابع الذي فضل على الاقاليم الاخرى ، وبخاصة على الاقاليم التي تقع اوروبا او (الآخر) فيها ، ومن هنا نجد عملية التفاضل واضحة بين الذات (المسلم) وبين الآخر (الغرب) ، من حيث الاقاليم الذي يعيش فيه . فابن خرداذبة (٢٧٠ هـ) وضمن تقسيم العالم الى اربعة

اقسام يقول : « ان المعمورة اربعة اقسام منها اروفي وفيها الاندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة . . واسقونيا وفيها امينيا وخراسان والترك والخزر » (٧) ، وهنا يبدو ان مفهوم الغرب فيه عمومية وعدم وضوح يقابله زخم في المعلومات وتوسع في شرح حال الاقليم الرابع اقليم الدولة الاسلامية . ويتضح التفضيل بين الاقليم عند ابن الفقيه (٢٩٠ هـ) ضمن تقسيمه المعمورة الى خمسة اقسام تماشيا مع اجزاء الطير (رأس وجناحان وصدر وذنب) ، فاين الفقيه - في كتابه البلدان الذي وصلنا مختصرا - يرى ان العالم الاسلامي بمراكز اشعاعه مكة والحجاز والشام والعراق ومصر تمثل صدر الدنيا (صدر الطير) في حين ان الغرب يمثل الجزء الاقل اهمية والاكثر سوءا في الطير وهو الذنب (٨) ، وهو بذلك يفاضل بين الذات الاسلامية من خلال اقليمها الرابع وبين الآخر (الغرب) في اقليمه السادس الذي يضم الفرنجة وامما اخرى ، كما انه يدرج ذلك ضمن النظرة للذات وللآخر في اطار عملية التزيين والتقبيح حسب رأي الدكتور حسين محمد فهم (٩) .

ويبدو الغرب او الآخر اكثر تحديدا ووضوحا عند ابن رسته (حوالي ٢٩٠ هـ) ، في كتابه الاعلاق النفيسة ، فهو يشير بتميز القسطنطينية ويشير الى بلاد ملك برجان التي تبعد مسافة رحلة بحرية تستغرق ثلاثة اشهر عن بلاد فرنجة ، ثم يتحدث عن مدينة برطينية على ساحل بحر الغرب (١٠) . الا ان اوسع تعريف باوروبا والغرب نجده لدى المسعودي (٣٤٦ هـ) بالرغم من انه لم يؤلف كتابا جغرافيا خالصا ، الا ان كتابيه مروج الذهب، والتنبيه والاشراف ، يرد فيها معلومات واسعة -برغم ما فيها من اساطير اقتبسها ممن سبقوه و اضاف اليها معلومات شخصية حصل عليها من تجار ورحالة او من مشاهدات ذاتية من رحلاته التي شملت الهند وسيلان وشواطئ زنجبار وارمينيا وشواطئ بحر قزوين (١١) . ففي كتابه مروج الذهب يتحدث عن الروم (الرومان) ويشير الى الصقالبة واجناسهم المختلفة ويستعرض دياناتهم ويذكر من اجناس الصقالبة اصطرانة ونامجين وسربين ومرادة وصاصين وخشانين وابرانجاين ، ويفرق بين هذه الشعوب من حيث حكامها وقوتها (١٢) . وفي كتابه التنبيه والاشراف يذكر عند حديثه عن الاقليم ، ضمن عملية المفاضلة بين الذات (المسلمة) والآخر (الغرب) الذين يصفهم بانهم اهل الربع الشمالي ، ويقول : « . . . وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم الواغلين في الشمال كالصقالبة والفرنجة ومن جاورهم من الامم ، فان سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فقلب على نواحيهم البرد وتبلدت افهامهم وثقلت السنتهم وابيضت الوانهم ومن كان أوغل في الشمال فالغالب عليهم القباوة والجفاء والبهائية وتزايد ذلك في الابدع والابعد الى الشمال » (١٣) ، ويذكر من اجناس الفرنجة الحلالقة والجاسقس والوشكنس والصقالبة والبرغز (١٤) ، بالرغم من ان جزءا من هذه المعلومات قد ورد عند من سبقه ، الا انها هنا اكثر تفصيلا مما قد

يعني زيادة المعرفة بهذا الآخر (الغرب) ، على أن لا يعني ذلك انه كلما ابتعدنا في التاريخ عن الجغرافيين الأوائل كلما زادت معرفتنا بالآخر . يتضح ذلك مع نهاية القرن الرابع الهجري حيث ظهر اعظم كتاب في تاريخ الجغرافيا - حتى ذلك الوقت - للمقدسي (٣٩٥ هـ) ، وهو كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، فهذا المؤلف يعطي اهتماما وتفضيلا للعالم الاسلامي الذي يقسمه الى اربعة عشر اقليما او بلدا يتحدث عنها باسهاب . وبالمقابل نجد اهمالا للآخر ، او ما هو خارج دار الاسلام : « . . لم نتكلف ممالك الكفار لاننا لم ندخلها ولم نر فائدة في ذكرها . . » (١٥) . وبعد عصر المقدسي نجد معلومات تختص بأوروبا الشمالية عند البيروني (٤٤٠ هـ) الذي حصل على معلوماته من سابقه ، اضافة الى معلومات من التجار والرحالة ، ونلمح لديه معلومات عن بحر البلطيق والبحر الابيض الشمالي ، ومعلومات عن سكان شمال وشرق أوروبا وبخاصة عن النورمان والاسكندنافيين (١٦) .

ويمكن أن نجد عملية التفاضل بين الاقاليم عند جغرافي المغرب الاسلامي كما هو الحال عند صاعد بن أحمد الاندلسي قاضي طليطلة (٤٦٢ هـ) ، فهو يرى أن موقع الأوروبيين من الأرض جعلهم ضمن الأمم التي لا تعتنى بالعلوم ويرى « . . انهم اشبه بالبهائم منهم بالناس . . وقضى فيهم العمى والغبوة كالصقالبه والبلغر ومن اتصل بهم » (١٧) ، ونجد معلومات مشابهة وان كانت أوسع عند أبي عبيد البكري (٤٨٧ هـ) ، وهذه المعلومات جاءت على لسان الرحالة التاجر أبراهيم بن يعقوب الذي زار بلدان أوربية فوصل الى ألمانيا وانكلترا والبلغار وبولندا وتشيك وفرنسا وهولندا ، وقدم معلومات عن اللومبارديين وعن التجارة في سراغ واوغسبورج (١٨) . يتحدث أبو عبيد البكري عن الجلالة ويصفهم بالقوة والبأس بين أمم الفرنجة ، ويشير البرتونيين (شمال غرب فرنسا) ، ويشير الى لغتهم وسوء أخلاقهم . ويشير بالاجمال الى أن الفرنجة هم الجلالة والصقالبه والنوكبرد (اللومبارديون) والاشبان والترك والخزر واللان وياجوج وماجوج ، ويقول أن بلاد الفرنجة تقع في وسط الاقليم الخامس حيث الهواء الغليظ والبرودة الشديدة (١٩) .

وتزداد صورة الآخر (الغرب) تفصيلا لدى الإدريسي (٥٦٠ هـ) ، في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، وجاءت معلوماته عن أوروبا مشتملة على معلومات من سبقه ، اضافة الى معلومات رحالة وتجار عرب ويهود وفرنجة ومصادر أوربية مثل بطليموس وأوروسيوس ، اضافة الى معلومات جمعها من خلال رحلاته وزياراته واتصالاته . فقد زار الاندلس ووصل الى شواطئ بريطانيا وزار اسيا الصغرى قبل أن يؤلف كتابه ، وقبل أن يقبل الدعوة للإقامة في بلاط روجر الثاني ملك صقلية . ولأول مرة نجد أن أوروبا والجزر البريطانية تحتل مثل هذا المكان البارز في مؤلف جغرافي اسلامي . ويعطينا الإدريسي تصورا واضحا عن فرنسا وألمانيا واسكتلندا (٢٠) .

ويقدم جغرافي آخر هو أبو حامد الفرناطي (٥٦٥ هـ) معلومات عن الألمان والهنغار ، ولكن معلوماته مشوشة بما يتعلق برومية وبيزنطة ويزودنا أبو سعيد الفرناطي بمعلومات عن أوروبا الغربية وبالأخص فرنسا وإيطاليا ، ومعلوماته عن أوروبا الشرقية أكثر تفصيلا . ونجد شبيها لهذه المعلومات السابقة لدى القزويني (٦٨٢هـ) في كتابيه عجائب المخلوقات واثار البلاد ، فيشير الى موقع أوروبا في الأقاليم الخامس والسادس والسابع ، ويعطي معلومات بما يتعلق بأمم الفرنجة وبعض صناعاتها ، ويتحدث عن سكان تلك المناطق ويصفهم بأنهم أهل غدر وقذارة (٢٢) . وما يثير الاهتمام في معلومات القزويني انها في غالبيتها ليست جديدة ، فقد وردت عند سابقيه ، كما أنه لم يتطرق الى محاولة الربط بين الفرنجة والحروب الصليبية برغم معاصرته لهذه الحروب (٢٣) . ونلاحظ ان هذه المعلومات تتكرر عند شمس الدين الأنصاري الدمشقي (٧٢٧هـ) في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، حيث يشير الى بحر الورك ويتحدث عن جزائر البحر المحيط وما بها من غرائب نجدها مشابة لما ورد عند أبو حامد الأنديلسي (٢٤) ، ونجد الدمشقي يتبنى النظرية التقليدية في تقسيم العالم ، حيث الأقليم الرابع أفضل الأقاليم في حين أن الأقليم الخامس فيه أفرط في البرودة مما أثر على أخلاق سكانه من الأرمن والروس واللات ، والأقليم السادس فيه ترك وخزر وفرنج وكاشغرد وسكانه كالوحوش ، والأقليم السابع فيه الألمان والصقالبة والهنكر (٢٥) .

ونجد تطورا في المعرفة الجغرافية فيما يتعلق بأوروبا في الفترة التي تلت الحروب الصليبية ويتضح ذلك في مؤلفات أبي الفداء (٧٣٢ هـ) ، حيث يورد معلومات في كتابيه المختصر في أخبار البشر وتقويم البلدان عن بريطانيا وعلاقاتها مع فرنسا ويتحدث عن باريس ويشير الى نهر الدانوب وألمانيا كما يشير الى أيرلندا (٢٦) ، وربما عكس هذا التوسع في المعلومات التفصيلية عن أوروبا طبيعة التطور في العلاقات وازدياد حركة التبادل بين الشرق والغرب . وهذا ما يلمح في مؤلفات لاحقة مثل كتاب العمري (٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الذي يورد معلومات عن طبيعة العلاقات داخل القارة الأوروبية ، ويشير الى أهمية فرنسا من بين هذه القوى ، كما يذكر معلومات عن إسبانيا وبروفنس وصقلية والبندقية بيزا وفلورنسا (٢٧) . وتكرر هذه المعلومات ومعلومات أخرى منقولة عن مؤلفين سابقين عند القلقشندي (٨٢١ هـ) في موسوعته صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٢٨) .

نلاحظ أن تصور الجغرافيين المسلمين للآخر (الغرب) بدأ منذ القرن الثالث الهجري ، وكان يزداد وضوحا حسب تطور العلاقات بين الشرق والغرب . كما يلاحظ ان المعلومات التي وردت عن الغرب كانت مشوشة وغير واضحة في الفترة الاولى ، في حين انها بدت تفصيلية ومحددة بين ما يخص أوروبا الشرقية والغربية في فترات لاحقة،

كما نلمح ايضا ان الاوصاف التي اطلقت على الآخر (الغرب) لم تكن كلها صفات سلبية، ولكنها في الغالب الاعم اقل مرتبة من الصفات الواردة للمسلمين في اقليمهم . على ان المهم ان هذه الصور والافكار عن الغرب لم تكن خيالية بمجملها كما انها لم تكن من ابتداع المسلمين ، بل ان فيها موروث يوناني ، واذا كانت المعلومات الواردة عن الغرب وقادرتهم مجزأة ومشتتة ، فذلك لان الاوروبيين لم تظهر لهم خصائص واضحة في ذلك الوقت الذي كتب فيه المسلمون معلوماتهم الجغرافية .

ب - صورة الغرب كما رآها بعض الرحالة والرسل المسلمين :

في الوقت الذي كانت فيه الدولة الاسلامية تمثل القوة الاولى في عالم العصور الوسطى ، كانت الوفود تأتي الى عواصمها طلبا للعون او طمعا في مهادنة او صلح . وفي المقابل كانت الرسل والوفود تذهب من عواصم العالم الاسلامي الى اقصى اطراف الارض ، والى العديد من الامم ، مبشرين بمبادئهم او مقدمين دعمهم او باحثين عن تسهيلات تجارية . وكانت هذه الوفود الرسمية تعود بأوصاف عما شاهدته في طريقها او في بلد المقصد . هذه المعلومات الوصفية كان فيها الكثير من معالم تصور المسلم للآخرين . ومن هذه السفارات تلك البعثة البرية التي ارسلها الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) الى بلاد الخزر حيث سد بأجوج ومأجوج . وقد احتفظ لنا الجزري (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) في كتابه حوادث الزمان (٢٩) ، بقفات من الاوصاف والمعلومات عن سكان المناطق التي زارتها البعثة . وعلى الرغم من ان هذه البعثة لا تقدم وصفا خاصا بالغرب ، الا انها تقدم نمطا لنظرة ابن الحضارة الاسلامية لغيره ، هي نظرة وتصور القادم من الاقليم المعتدل والعاصمة المزدهرة والبلد المسلم الى بلد البرد والمدن المتباعدة المتناثرة والسكان الذين يبدوون غريبين في عباداتهم وطقوسهم ، بل وحتى في اشكالهم . ونجد ان معالم هذه الصورة تتضح أكثر في رحلة اخرى تمت بعد حوالي قرن (٣٠٠) من الرحلة الاولى ، وتلك هي رحلة احمد بن فضلان رسول الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) الى بلاط الترك والخزر والروس والصقالبة والمعلومات التي وردت في رسالة ابن فضلان تبين المستوى الحضاري الذي كان عليه الروس والصقالبة وهو مستوى متدن بمقياس ابن فضلان القادم من عاصمة الخلافة العباسية ، حتى انه يشير الى ان هذه البعثة كانت لتقديم العون المادي والثقافي التعليمي لاقوام اضعف واقل ثقافة ومعرفة (٢١) ، وفيها اشارات الى ان ابناء الحضارة الاسلامية كانوا روادا في معرفة العالم حتى قبل هذه الرحلة (٢٢) ، كما ان الرسالة فيها اشارات واضحة الى اخلاق هذه الشعوب وعاداتها ، فتورد اوصاف الصقالبة وطريقة حياتهم وملابسهم وماكلهم (٢٣) ، ومعلومات عن الروس

د. نعمان محمود جبران
وقدارتهم .. وانحلالهم الخلقي . وقد ورد الكثير من معلومات ابن فضلان مصححة عند ياقوت الحموي (٦٢٥ هـ) في كتابه معجم البلدان (٢٤) .

ومع أن ما ورد من وصف الرحلتين السابقتين ينطبق بشكل خاص على ما يعرف اليوم بأوروبا الشرقية ، إلا أننا نجد أيضاً مقاربا مع وصف آخر ، ولكن لمناطق تعتبر ضمن أوروبا الغربية . هذا الوصف الآخر على لسان مسلم من المغرب العربي هو يحيى الغزال (ت ٢٥٠ هـ) وذلك من خلال السفارة - الرحلة التي قام بها بأمر من سلطان الاندلس عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ) الى بلاد النورمان في سنة ٢٣١ هـ ، ومن الجدير بالذكر أن خلافاً قد وقع في وجهة هذه الرحلة (٢٥) ، فالبندياق - على سبيل المثال - يرجح أنها كانت الى بلاد الدنمرك (٢٦) ، وقد وردت معلومات مفصلة عن هذه الرحلة في كتاب المطرب لابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) (٢٧) .

ويقدم لنا الغزال معلومات ذات دلالة كبيرة في كيفية التعامل مع الأوروبيين لا تقل أهمية عن المعلومات التي أوردها عن عاداتهم وأخلاقهم ، ويورد قصة توضح ذلك ويقول أنهم على ضعفهم يحاولون اذلال السفير (العربي المسلم) وبخاصة حين أعرب (الغزال) عن رفضه السجود للمكهم حسب عاداتهم لمنافاة ذلك للعادات الإسلامية ، ويقول أن الملك حاول التحايل على إصرار السفير وإجباره على السجود ، « ... فلما مشى إليه قعد (الملك) لهما في أحسن هيئة وأمر بالمدخل الذي يفضي إليه ، فضيقه حتى لا يدخل عليه أحد إلا راکما ، فلما وصل إليه (الغزال) جلس على الأرض وقدم رجله وزحف على إيلته زحفة فلما جاوز الباب استوى واقفا ... وعجب (الملك) من جلوسه على الأرض وتقديمه رجله في الدخول وقال : أردنا أن نذله فقابل وجوهنا بنعليه » (٢٨) .

وهذه الصورة التي يقدمها الغزال ، وإن كانت تصويراً لذكاء ومكر الآخر إلا أنها تمثل في الوقت نفسه صورة الذات الأكثر ذكاء ومكراً . كما يورد الغزال معلومات نجدها مطابقة لما سيرد عند غيره من المؤرخين المسلمين في فترات لاحقة ، كما عرف عن الأوروبيين من تحرر وإباحية وانعدام للغيرة ، ويشير أيضاً الى التمايز الطبقي الذي يظهر من خلال طبيعة العلاقة بين الجنسين (٢٩) .

كما نجد معلومات عن الأوروبيين وأنماط حياتهم وطبيعة بلادهم ومعاملاتهم التجارية من خلال المعلومات التي وردت عن رحلة يعقوب بن ابراهيم سنة ٣٥٥ هـ ، ويصف بلادهم وبردها وما بها من غابات وعلاقات بدت له غريبة عما هو مألوف في بلده الاندلس (٤٠) .

ج - صورة الآخر (الغرب) في بعض كتابات المؤرخين المسلمين :

مما لا شك فيه ان صورة الغرب لدى المؤرخين المسلمين تأثرت بما تكون لدى أبناء الشرق الاسلامي من معلومات عن الغرب ، سواء كانت عن طريق التجارة والرحلات والسفارات ، او بما ورد من معلومات في المصادر الجغرافية الاسلامية ، الا ان المعلومات الاوقى لدى المؤرخين عن الغرب ، والتي يجب ان تؤخذ بمزيد من الحذر قد تشكلت خلال فترة الحروب الصليبية . وتبدو هذه الاهمية من الحقيقة بأن جزءا من هؤلاء المؤرخين كانوا شهود عيان ، عاصروا الاحداث ولسوا الموقف عن قرب ، كما كان بينهم من شغل مناصب رسمية اتاحت لهم الاطلاع على الوثائق الرسمية والمعاهدات والمفاوضات مع الطرف الآخر (الغرب) المتمثل بالفرنج ، ومنهم من عايش فترة الصدمة التي تمثلت بنجاح الغزو الصليبي في ظل الفرقة الاسلامية ، او عايش حركة احياء الجهاد والوحدة الاسلامية التي حققت النصر . وفي ظل ذلك كانت كتابات البعض منهم تصور حالتين : حالة القوة الصليبية وبرز من خلالها تصوير المجهور المغلوب على أمره (المسلم) للقوى الظالم الهجري (الفرنجي) . واذا نظرنا بعين الاعتبار الى ان بعض المؤرخين المسلمين كون علاقات خاصة مع الفرنج في اوقات السلم والحرب ، كما هو الحال مع اسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ) تبدى لنا ان ما ورد من تصوير للغرب (الفرنجة) لدى المؤرخين المسلمين فيه شيء من صدق التجربة ومعرفة الآخر عن طريق المعايشة ايا كان نوعها ، سلمية ام حربية .

كما اننا نلمح في كتابات المؤرخين وبخاصة لفترة الحروب الصليبية تشابها مع ما ورد عند الجغرافيين ، من حيث التعميم في اطلاق اوصاف الفرنجة على امم وشعوب مختلفة . الا ان هذا التعميم لم يمنع من ورود صور خاصة وصفات خاصة لشعوب معينة من الفرنج (الاوروبيين) كالايطاليين ، الالمان ، الفرنسيين . ويمكننا ان نتبع ما ورد من صفات واوصاف للغرب باستعراض ما اورده بعض المؤرخين امثال ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ) ، الذي يورد المعلومات التي كانت تصل للعالم الاسلامي عن تقدم الفرنج وكثرة اعدادهم وما رافق ذلك من خوف وهلع في الجبهة الاسلامية ، ويشير الى نجاحهم وسيطرتهم على العديد من المناطق (٤١) . ويورد خلال مؤلفه ، الذي ينتهي بحوادث سنة ٥٥٥ هـ ، اشارات يمكن من خلالها تلمس معالم صورة ترسم لهذا الغازي (الفرنج) ، فهم يسالمون في حالة الضعف ، ولكنهم اهل غدر ، وخاصة اذا حصلوا على امدادات تعزيزا لموقفهم العسكري ، كالمساعدات التي كانت تصلهم عن طريق المدن الايطالية (٤٢) . ويرسم صورة للفرنج وكأنه يعرض للحالة المفقودة عند المسلمين آنذاك ، تتمثل في ان هؤلاء الفرنج وبعد ان يتعرضوا لهزيمة عسكرية يتدارسون اسباب ذلك ، ويصل بهم الامر الى حد معارضة آراء قادتهم بعد

تحليلها(٤٣) . ويشير الى ان الفرنج يمكن ان يتأثروا بحضارة الشرق ، ويرى ان القادمين منهم حديثا اقل تفهما واكثر تعصبا ممن سبقهم وعاش في الشرق وخالط سكانه(٤٤) . ويشير ابن القلانسي تفصيلا الى اسماء شعوب اوروية فيذكر الجنوبية والبنادقة والالمان والفرنسيين(٤٥) . وفي تصوير للذات الاسلامية بشكل غير مباشر يشير الى صورة الاخر (الغرب) المتحد ، مستغربا وقوع الخلاف في صفوفه ، فيورد في حوادث سنة ٥٢٧ هـ « في المحرم وردت الاخبار من ناحية الفرنج بوقوع الخلف بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ونشبت المحاربة بينهم وقبل منهم جماعة »(٤٦) .

ونجد صورة الغرب اكثر تفصيلا عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) الذي ارتبط بعلاقات مع مجموعات منهم ، فهو يصورهم كما صورهم ابن القلانسي أهل غدر ، لا يلتزمون بالوفاء بالعهود ، وانهم يفسرون نصوص الامان المعقودة معهم بما يخدم مصالحهم(٤٧) . ويضيف : ولذلك فهم أصحاب مكيدة وحيل في الحروب(٤٨) ، ويقدر عاليا اهتمامهم بالفروسية والفرسان واشترط مواصفات معينة في الفارس(٤٩) ، ويصورهم بمنظار المسلم الفارس ، فيقدر فيهم عنصر الشجاعة ، لكنه يعيب عليهم امورا اخرى ، « سبحان الخالق الباري اذا خبر الانسان امور الفرنج سبح الله تعالى وقده ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير كما في البهائم فضيلة القوة والحمل »(٥٠) ، وهو يرى انهم متخلفون عن الشرق حضاريا ولذا تراهم لا يألفون الا لجنسهم ولا يثقون بالغير(٥١) . وبمنظور ابن الشرق المحافظ والمتقدم علميا مقارنة بالغرب ، يرى انهم متخلفون في المعارف العلمية كالطب(٥٢) ، كما أن لديهم اباحية وانعدام للغيرة(٥٣) . ويرى أن هؤلاء الفرنجة قسمين : قسم اثرت فيه الحضارة الاسلامية ممن أقام فترة طويلة فصلح حاله ، مقارنة بالقسم الآخر القادم من الغرب الهمجي ، الا أنه يرى أن ذلك شاذ ولا يقاس عليه ، فالغالب عليهم طبع الهمجية وجفاء الخلق(٥٤) .

ويصورهم البنداري (ت ٦٤٢ هـ) ، بشكل الفترة التي كتب فيها والتي بدأت تشهد تغيرا في ميزان القوى لصالح الجبهة الاسلامية في اواخر عهد نور الدين زنكي (ت ٥٦٩ هـ) وبدايات عهد صلاح الدين . فهؤلاء الفرنج برغم تعاظم خطرهم ، الا أنهم اقل ذكاء في الحرب ، ويشير بذلك الى أهالي صقلية في غزوهم لدمياط سنة ٥٦٩ هـ(٥٥) . ونجد ايضا أن الصورة التي رسمها سابقوه عن تخلف الغرب وايمانهم بالخرافات تتكرر هنا مرة أخرى ، حيث يرى ايمانهم بأقوال المنجمين عن مصائب تصيب العالم نتيجة اجتماع الكواكب في برج معين ، فيقول : « ... وكلما سمعنا اخبارهم ضحكنا من عقولهم الواهية »(٥٦) .

ونجد أن صورة الغرب (الآخر) لدى المسلم تساير طبيعة العلاقة معه ، بنفس القدر الذي تساير فيه رسم صورة الذات، وهذا ما نلمحه عند أبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، فهو اذ يكتب عن الدولتين النورية والصلاحية ، أي في فترة رجحان الكفة الإسلامية وبروز القوة القادرة على كبح الفرنج ، يبرز ذلك من خلال تصويره للفرنج والمسلم ، وهو لا ينسى أن يشير الى أن هذه الصورة والنظرة للفرنج تأتي مختلفة عند طرف آخر ، ك بعض وزراء الفاطميين الذين تحالفوا معهم ، فهو يورد رد الوزير الفاطمي (٥٧)، على أحد قادة نور الدين (٥٨) ، الذي حاول ثني الوزير عن التعاون مع الفرنج ، لتكون اجابته « ... ما هؤلاء الفرنج هؤلاء الفرج » (٥٩) ، في حين أن صورتهم لدى عامة المسلمين، أنهم قليلوا الوفاء بالعهود، الا أن قادتهم يتمتعون بشجاعة وراي صائب (٦٠). لكنه يشير الى صور هامة ، وهي أن الفرنج (الغرب) لا يحترمون الا القوي ولا يقرون بالحقوق لاصحابها الا اذا رافق هذا الحق قوة مدية تدعّمه فيشير ضمن حوادث سنة ٥٦٧هـ عن الفرنج قائلا : « ... وكانوا في ذلك كما يقال : اليهودي لا يعطي الجزية حتى يُلْطَم ، فكذلك الفرنج ما أعادوا أموال التجار بالتّي هي أحسن ، فلما نهبت بلادهم وخربت أعادوها » (٦١) ، وضمن تصويره للذات المسلمة وللآخر (الفرنج) ، نظرا لتبدل حال الطرفين من القوة الى الضعف او العكس ، يشير الى شجاعتهم (الفرنج) ، ولكن هذه الشجاعة ووجهت بما هو أقوى منها ، فيقول على لسان نور الدين « قد بليت أنا وحدي بأشجع الناس ، الفرنج ، فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم » (٦٢) ، وضمن نفس السياق بتصوير حال العالم الاسلامي الذي أصبح قويا حيث أصبح العدد القليل من المسلمين قادرا على مواجهة عدد اكبر من الفرنج في حين أن المعادلة قبل ذلك كانت معكوسة ، فيقول « ... وصبر المسلمون للقاء الفرنج وكان المسلمون مثني فارس وصبر الفريقان لا سيما المسلمون لان الف فارس منهم لا تصبر لحملة ثلاثماية فارس من الفرنج » (٦٣) ، الا أن الصورة التي بقيت ملازمة للفرنج عنده هي عدم الوفاء ، حتى انه ليستغرب ان يكون بينهم من يفي بالعهد كما هو استغرابه ان يوجد من لا يفي بالعهد بين المسلمين (٦٤) .

ونلمح نموذجا آخر لرسم صورة الغربي لدى المؤرخين المسلمين كتلك التي نلمحها عند سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) وابن واصل (ت ٦٩٧هـ) حيث يجعلان وصف صورة الغربي من الغرب انفسهم . فها هو ابن واصل يورد محاوراة بين رسول امبراطور المانيا فردريك الثاني (١٢١٥ - ١٢٥٠م) والملك الكامل الايوبي (ت ٦٣٥هـ) حول طبيعة النظام الاسلامي في الحكم والسؤال عن الخليفة واصله ، فيقول مندوب الملك الكامل « ... هو ابن عم نبينا محمد أخذ الخلافة عن أبيه وأخذها أبوه عن أبيه فالخلافة مستمرة في بيت النبوة لا تخرج منهم ، فقال الامبراطور ما أحسن هذا لكن هؤلاء القليلو العقول - الفرنج - يأخذون رجلا من المزيلة ليس بينه وبين المسيح نسب

ولا سبب جاهلا مذما ويجعلونه خليفة عليهم، قائمقام المسيح فيهم، وانتم خليفتم ابن عم نبيكم فهو أحق الناس بمرتبته» (٦٥)، وزيادة على ذلك نجد أن الامبراطور فردريك يصف الفرنج بالخنازير. ففي اثناء زيارته للقدس سأل عن سر صنعة شبايك قبة الصخرة بشكل اسياخ فقال له المسلمون: «حتى لا تدخل العصافير الى القبة، فابتسم الامبراطور وقال: والآن احضر الله لكم الخنازير» (٦٦)، ومن خلال هذين المثالين يبرز لنا وكأنهما محاولة من الجانب الاسلامي للتأكيد على صحة تصويرهم للغرب سابقا والدليل أن هذه الصورة جاءت مطابقة لوصف بعض الغرب لابناء جلدتهم.

ويتابع المؤرخان ايراد امثلة من اقوال الامبراطور في زيارته (٦٧) للقدس كاستغرابه من منع آذان الفجر حسب أوامر الملك الكامل خوفا من انزعاج الامبراطور (الصديق) (٦٨) حتى أنه قال «... اخطأتم يا قاضي تغيرون أنتم شعائركم وشرعكم ودينكم لأجلي فلو كنتم عندي في بلادي هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم، الله الله لا تفعلوا أول ما تنقصون عندنا» (٦٩)، وبغض النظر عن صدور هذه الأقوال أو عدمه عن الامبراطور، فهي تصوير للذات الاسلامية في حالة معينة بلغ بها التهاون والهوان في سبيل ارضاء الآخر (الفرنجي) امرا اثار استغراب واستهجان الفرنجي، وكان المؤرخون هنا يحتجون على ما وصلت اليه أمور الدولة حيال من هم في نظرهم خنازير وقليلي عقول ولا تربطهم بالمسيح صلة كالتي تربط المسلمين بالرسول عليه السلام.

ومن الصور التي لازمت ذكر الفرنج حتى في فترات متأخرة هي صورة عدم الصدق والمكر، مما يولد شعورا بعدم الثقة بهم ويزيد من دائرة الشك حولهم، فابن الدواداري (ت ٧٣٤هـ) يورد قصة عن أحد رسلهم للدولة الاسلامية، حيث أن هذا الرسول كان يتكلم عن طريق ترجمان مع الطرف المسلم، ولكنه ولسبب ما تكلم العربية، حتى أن الدواداري يقول: «انه قبل ذلك لا يتكلم الا بترجمان ويدعي انه لا يعرف اللسان العربي» (٧٠)، وهذا الشك بنوايا الفرنج نجده في فترة متأخرة حتى بعد انتهاء فترة الحروب الصليبية، ففي سنة ٨٢٤هـ أصدرت الدولة المملوكية مرسوما حددت فيه مدة إقامة جميع طوائف الفرنج في اراضي الدولة بأربعة اشهر على أكثر تقدير، وهي المدة التي كانت في نظر الدولة كافية لانهاء عملياتهم التجارية، بعد أن ثبت تأمرهم مع القراصنة (٧١).

كما نجد أيضا صورة الغرب في نظر بعض المؤرخين المسلمين تأخذ منحى آخر، حيث تظهر اشارات لاوصافهم الجسمية ومدى تأثير ذلك على قيمتهم الحقيقية، فهذا هو ابن الدواداري يقول عن الامبراطور الألماني: «من صفته أنه أشقر أمعط أعين»

لو كان عبدا ما ساوى سبعين درهما « (٧٣) ، ثم يقارنهم بغيرهم من العناصر الاسلامية وبخاصة العنصر التركي السائد آنذاك ، فيقول : « الترك اسود والفرنح كلاب » (٧٣) . كما تأخذ الصورة بعدا يرتبط بالدين حيث يرد وصفا لملك الاسبتار بأنه « جهول عجول ما أدبه الوالدان ولا اختلقه الجديدان ... مقسم الرأي وكيف لا يكون مقسمه وهو عابد الثلاثة » (٧٤) .

كما نلمح من خلال بعض الكتابات التاريخية الاسلامية اشارات لرسم صورة خاصة بفئات معينة من الفرنج ، فالامان أكثر الفرنج عددا واشدهم بأسا (٧٥) ، على عكس الايطاليين الاقل خبرة في الحروب والذين يتميزون بعدم ثبات موقفهم من العالم الاسلامي ، فهم أحيانا من أشد أجناس الفرنج عداوة ، وفي أحيان أخرى أكثرهم قربا وتعاوننا مع المسلمين (٧٦) ، ويبدو أن ذلك كان متمشيا مع طبيعة حياتهم كتجار فيحددون مواقفهم بناء على مصالحهم الخاصة بغض النظر عن العوامل الأخرى ، كالدين والعرق .

الخاتمة :

لقد تشكلت صورة الآخر (الغرب) في الكتابات الجغرافية والتاريخية الاسلامية من خلال الاتصال الذي تم بين الشرق والغرب سواء أكان في فترة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي سبقت ازدهار الحضارة الاوروبية الحديثة أو في فترة انعكاس ميزان القوى لصالح الغرب بعد أن استطاع في فترة فاصل زمني من السيطرة على أجزاء من الشرق الاسلامي ، مما ولد شعورا من العداء على خلفية أن السيطرة الغربية كانت عنيفة وأعاقت التقدم الاسلامي ، وبذا فإن صورة الغرب أو الآخر قد جاءت متسقة مع معرفة هذا الآخر ، فمن معرفة جزئية فردية الى معرفة شاملة جماعية ، في فترتي سلم وحرب ، على أن هذه الصورة لم تتح لها مرحلة ناقدة كفيفة بتخليصها مما فيها من شوائب ، ويعود السبب في ذلك الى أن سلوك الآخر (الغرب) تجاه العرب والمسلمين لم يتغير ايجابيا ، مما ولد لدى بعض أبناء الشرق ظاهرة الرفض لكثير مما هو غربي، على افتراض نية التأمر والتي جاءت من خلال التجربة الاسلامية مع الغرب، مما جعل الكثير من الكتابات العربية الاسلامية تركز على ظواهر سلبية عند الآخر ضمن اطار الدعوة لحماية الذات .

وبالاجمال ، فإن صورة الآخر (الغرب) ، لدى أبناء الحضارة الاسلامية لم تكن ايجابية في كل جوانبها ، ولكن ذلك ليس من صنع العربي والمسلم بقدر ما هو نابع من تصرف هذا الآخر ، وبذا لا نجد اختلافا كبيرا بين معالم الصورة التي رسمت

للاخر في كتب التراث الاسلامي عما هو في ذهنية الانسان العربي المسلم المعاصر ، وذلك لان هذا الغرب لم يغير سلوكه وتطرفه تجاه العالم الاسلامي وان غير تكتيكاته .

وعلى الرغم من ان كل طرف (المسلم والغربي) قد احتفظ للاخر بصورة مكتسبة من خبراته السابقة ، وعلى الرغم من مقولة الشاعر الانجليزي رديار كبلنغ (١٨٦٥ - ١٩٣٦) « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، الا اننا نرى ان امكانية اللقاء الحضاري وارادة ولا بد من تواصلها ، ولكن بمنظور مختلف متخل عن نزعة السيطرة وفرض الذات ، وان الصورة التي رسمت للاخر في التاريخ الاسلامي - وكان الغرب مسؤولا عنها - هي بلا شك قابلة للتغيير اذا ما غير الغرب من سلوكياته وتخلي عن نظرية الاستعلاء الحضاري والعنصرية والابتزاز الاقتصادي ، وحين يؤمن ان الحضارة ليست من صنع جنس بعينه ، بل هي مساهمات انسانية مترابكة .

الهوامش :

- | | |
|--|--|
| <p>محمد ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق ونشر دي جوييه ، بريل ، ١٨٨٥ ، ص ٣-٤ .</p> <p>(٩) حسين محمد فهم ، ادب الرحلات - سلسلة عالم المعرفة ، ع ١٢٨ ، ١٩٨٩ م ، ص ١٩٢-١٩٣ .</p> <p>(١٠) ابن رسته ، احمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة نشر دي جوييه ، ١٩٨٢ ، ص ١١٩ - ١٢٠ . خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ١٥ .</p> <p>(١١) ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٦ .</p> <p>(١٢) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، نشر شار بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦١ ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٤٧ .</p> <p>(١٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٨-٣٩ . كراتشكوفسكي ، اغناطيوس بوليانوفتش ، تاريخ الادب الجغرافي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، مراجعة ايفيور بلياف ، مطبعة لجنة</p> | <p>(١) المقصود هنا ، البيزنطيون والمدن الايطالية .</p> <p>(٢) ابن حوقل ، ابو القاسم النسيبي (ت. ق ٤ هـ / ١٠ م) ، صورة الارض ، ليدن ١٩٢٨ ، ص ٢٠٥ ، المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٧٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ ، ج ١ ، ص ١٤٨ .</p> <p>(٣) اندرة ميكل ، « اوروبا في نظر العرب حتى عام الف » في : اضواء عربية على اوروبا في القرون الوسطى ، ترجمة د. عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ١٩٨٣ ، ص ٩٠ .</p> <p>(٤) نفس المصدر ، ص ٩١ .</p> <p>(٥) خالد زيادة ، تطور النظرة الاسلامية الى اوروبا ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ .</p> <p>(٦) نفس المصدر ، ص ٢٨ - ٢٩ .</p> <p>(٧) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، نشرة دي جوييه ، ١٨٨٩ ، ص ١٥٥ .</p> <p>(٨) ابن الفقيه الهمداني ، أبو بكر احمد بن</p> |
|--|--|

- (٢٥) شيخ الربوة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبعة لايبزغ ، ١٩٢٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ . خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- (٢٦) ابو الفداء المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الفضل ، تقويم البلدان ، حققه م. رينود وماك كوكين دي سلان ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١٨٨ ، ٢٠١ ، ٢٦٦ .
- (٢٧) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٢ .
- (٢٨) خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- (٢٩) الجزري ، شمس الدين محمد ، حوادث الزمان ، نسخة مصورة من مخطوطة مكتبة غوتا الألمانية ، رقم ١٥٥٩ - ١٥٦٠ .
- (٣٠) بدأت رحلة احمد بن فضلان انطلاقا من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩ هـ ، ووصل الى ملك الصقالبة في ١٢ محرم ٣١٠ هـ .
- (٣١) ابن فضلان ، احمد ، رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، مديرية احياء التراث العربي ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٧٧ ، ص ٩٨ ، ١٤٨ .
- (٣٢) نفس المصدر ، ص ١٥٣ .
- (٣٣) نفس المصدر ، ص ١٥٨ - ١٦٠ .
- (٣٤) نفس المصدر ، ص ٥٨ - ٦٠ ، ١٧٧ - ١٧٨ .
- (٣٥) حول ما اثر من تساؤلات حول الرحلة وزمانها ووجهتها انظر ، محمد صالح البنداق يحيى ابن الحكم الفزال ، تقديم احسان عباس ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ ، ص ٩٣ - ١٠٠ .
- (٣٦) نفس المصدر ، ص ١٦١ .
- (٣٧) نفس المصدر ، ص ١٣٠ .
- (٣٨) نفس المصدر ، ص ١٣٠ .
- (٣٩) نفس المصدر ، ص ١٣٣ .
- التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
- (١٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٩ .
- (١٥) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٥ . حسين محمد فهم ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .
- (١٦) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ، خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ١٩ ، سري محمود ، «الفكر الجغرافي عند البيروني» مجلة المؤرخ العربي ، ع ٣ ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٢٦٣ - ٢٧١ .
- (١٧) مساعد الاندلسي ، القاضي ابو القاسم مساعد بن احمد بن مساعد الاندلسي ، طبقات الامم ، وضع مقدمته السيد محمد بحر العلوم ، المطبعة العيدرية ، النجف ، ١٩٦٧ ، ص ٦ - ٨ .
- (١٨) أندره ميكل ، المصدر السابق ، ص ٨٨ - ١٠٤ . خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .
- (١٩) ابو عبيد البكري ، جغرافية الاندلس وأوروبا - من كتاب المسالك والممالك - تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ٨٢ ، ١٣٧ .
- (٢٠) خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥-٢٧٩ ، ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- (٢١) خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .
- (٢٢) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٥٠ .
- (٢٣) خالد زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .
- (٢٤) الجزري ، شمس الدين محمد بن ابراهيم ، حوادث الزمان ، السنوات ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ ، تحقيق نعمان جبران ، فرايبورغ / ألمانيا ، ١٩٨٨ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

- (٤٠) اندره ميكل ، المصدر السابق ، ص ٩٦ - ٩٩
١٠٤ - ١٠٥ .
- (٤١) ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد بن
علي بن محمد التميمي ، تاريخ دمشق ،
تحقيق سهيل زكار ، دار حسان للطباعة
والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٨
وما بعدها .
- (٤٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٤٦٣ .
- (٤٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .
- (٤٤) نفس المصدر ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
- (٤٥) نفس المصدر ، ص ٢٣٢ ، ٢٦٠ ، ٣٣٣ ،
٤٦٣ .
- (٤٦) نفس المصدر ، ص ٣٧٤ .
- (٤٧) ابن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن
مرشد الكناني الشيزري ، كتاب الاعتبار ،
تحرير فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون ،
الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ ، أعيد طبعه في
الدار المتحدة للنشر والطباعة والتوزيع ،
بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٤ .
- (٤٨) نفس المصدر ، ص ٧٣ .
- (٤٩) نفس المصدر ، ص ٨٣ - ٨٤ .
- (٥٠) نفس المصدر ، ص ١٦٩ .
- (٥١) نفس المصدر ، ص ١٦٦ .
- (٥٢) نفس المصدر ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ .
- (٥٣) نفس المصدر ، ١٧٤ .
- (٥٤) نفس المصدر ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ .
- (٥٥) البنداري ، قوام الدين الفتح بن علي ، سنا
البرق الشامي ، تحقيق فتحة النبراوي ،
مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٧٩ ، ص ٧٧ ،
٢٨٣ .
- (٥٦) نفس المصدر ، ص ٢٨٣ .
- (٥٧) الوزير الفاطمي هو أبو شجاع شاور بن
بحير بن نزار بن عثمان ، تولى وزارة مصر
- سنة ٥٥٨ هـ ، ذهب للشام لطلب النجدة من
نور الدين زنكي ، قتل سنة ٥٦٤ هـ
- (٥٨) القائد هو أسد الدين شيركوة الذي توجه
الى مصر بأمر من نور الدين زنكي في سنوات
٥٥٩ هـ ، ٥٦٢ هـ ، ٥٦٤ هـ ، تولى الوزارة
في مصر سنة ٥٦٤ هـ وتوفي في السنة نفسها .
- (٥٩) أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن
اسماعيل المقدسي ، الروضتين في اخبار
الدولتين ، ج ١ ، ق ١ ، تحقيق محمد حلمي
محمد احمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،
القاهرة ، ١٩٥٦ ، ج ١ ، ق ٢ ، تحقيق
محمد حلمي محمد احمد ومراجعة محمد
مصطفى زيادة ، وزارة الثقافة والارشاد
القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر ، انظر ، ج ١ ،
ق ٢ ، ص ٤٢٥ .
- (٦٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٤ -
١٨٥ .
- (٦١) نفس المصدر ، ج ١ ق ٢ ، ص ٥١٧ .
- (٦٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ .
- (٦٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧١ .
- (٦٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٦ .
- (٦٥) ابن واصل ، جمال الدين الدين محمد بن
سالم ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،
ج ٤ تحقيق حسنين ربيع ، دار الكتب ،
القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥١ .
- (٦٦) سبط بن الجوزي ، شمس الدين بن المظفر
يوسف بن قزاوغلي التركي ، مرآة الزمان
في تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، ق ٢ ، الهند ،
١٩٥١ ، ٦٥٦ . ابن ابيك اللواداري ، أبو
بكر عبد الله ، كنز الدرر وجامع الغرر ،
ج ٧ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،
القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
- (٦٧) ابن واصل ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص
٢٤٥ .

الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، دار صادر
- دار بيروت ، ١٩٦٦ ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المعبر
ودويان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ٨
اجزاء ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٨١ ، ج ٥ ،
ص ٣٧٣ .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح
الاعشى في صناعة الانشا ، ١٥ جزء ، نسخة
مصورة عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٦٣
ج ١٣ ، ص ٨١ . أبو شامة ، شهاب الدين
عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان المقدسي ،
الروضتين في اخبار الدولتين جزءان ، دار
الجيل ، اوفست ، عن مطبعة وادي النيل ،
١٩٥٦ - ١٩٦٢ ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٢١ .

- (٦٨) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ٨ ،
ق ٢ ، ص ٦٥٦-٦٥٧ .
(٦٩) نفس المصدر ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٧ .
(٧٠) ابن ابيك الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ ،
ص ١١٩ .
(٧١) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين
يوسف ، النجوم الزاهرز في ملوك مصر
والقاهرة ، ج ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص
٥٠٨ .
(٧٢) ابن ابيك الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ ،
ص ٢٩٤ ، ٣٧٧ ، ١٤٣ .
(٧٣) نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٣٧٧ .
(٧٤) نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ١٤٣ .
(٧٥) ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن
ابي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني ،

